قراءة في نتاج ما حدث

(٤)

كيف ضيَّع التعليم المزيَّف شركتنا في المسيح؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

عندما كتب الأنبا شنودة الثالث في كتابه بدع حديثة: "محال أن أحد الآباء نادى بهذا التأله" (بدع حديثة، ص ١٤٥)، يكون قد قطع تماماً شركتنا في بنوة الابن، وفصل الإنسانية عن الثالوث. فالشركة في حياة الله هي شركة في الثالوث؛ لأن التبني هو عطية الآب في الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح. فإذا لم تكن لنا شركة في بنوة الابن كوسيط يعيد إلينا ما فقدناه في آدم، فكيف سنحيا إلى الأبد في الملكوت الأبدي كورثة للخلود وعدم الفساد (رو ٨: ١٧).

كيف هدم هذا التعليم المسيحية الأرثوذكسية؟

لا بُد لمن تابع ما نُشِر على صفحات مجلة الكرازة أن لاحظ أن هناك مفاهيم تكررت حتى أصبحت بمثابة ثوابت نتج عنها ما نتج، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- ننال قوة أو موهبة أو طاقة وليس الروح القدس نفسه.

٢- ننال الناسوت وحده، وحتى إذا قال البابا شنودة إننا نتناول "المسيح ذاته"، فهو لا يؤمن بأن التناول هو شركة في حياة الابن الإلهية المتجسدة.

٣- وكما ذكرنا فيما سبق، التبني علاقة شرفية وليس علاقة أقنومية لأن تجسد الابن كان لدفع ثمن الخطية وإرضاء العدل الإلهي على الصليب.

هكذا تتحول علاقتنا بالرب يسوع من اتحاد شخصي به إلى فكرة في عقولنا عن حدثٍ تمَّ في تاريخ بعيد منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة، وكل ما لدينا منه هو الذكرى العقلية التي لا شركة فيها سوى الإدراك والفهم والإقرار بما حدث، وهو ما صار يُعرَف باسم الإيمان، **في حين أن الإيمان ليس هو إدراك حدث بعيد، بل هو قبول استعلان الآب في الابن بالروح القدس للشركة المستعلنة في التعليم.**

التحول من العلاقة شخصية إلى علاقة فكرية

نرى ذلك في الخداع الذي قدَّمه المذهب الإنجيلي، والذي يتمثل في الحديث الدائم عن "تعليم كتابي"؛ لأن الكتاب المقدس وحده هو أصل وجذر حركة الإصلاح. وللأسف يدخل كثيرٌ من الأرثوذكس هذا الفخ بعيون مفتوحة بدعوى العودة إلى الأصل، في حين أن الأصل تاريخيًّا هو أن الكنيسة، تجد أصلها في يسوع المسيح جسده الواحد، وليس في الكتاب المقدس. ليس لأن الكنيسة وُجدت قبل الأسفار، وبالذات العهد الجديد، بل لأن الكنيسة أسَّسها الربُّ نفسه على ما هو معلَنٌ في كيانه الإلهي المتجسد، ولذلك دُعيت "جسد المسيح الواحد".

أما عندما انتشرت دعوة الخلاص بقبول الرب يسوع -بعيدًا عن أسرار الكنيسة- وأُطلِقَ على هذا "الميلاد الجديد"، أصبح الإنسان هو الذي يلد ذاته بالإيمان، وليس الله هو الذي يلدنا في المعمودية.

إن ردة الإنسان إلى ذاته تجعلنا نصبح نحن محور حياتنا التي نظن أنها في المسيح، ولكن الواضح أنها حياة من صنع الإنسان نفسه بما يسميه الإيمان، بينما حرص الرسول يوحنا على أن يكتب: "الذين ولدوا ليس من لحم ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو ١: ١٣). هذه الردة إلى الذات هي سبب انقسام حركة الإصلاح إلى ما يقرب من ٣٠٠٠ كنيسة في أمريكا. ومن يعيش في أمريكا يجد كنائس مختلفة لا يفصل بينها إلا شارع واحد، وأحيانا تجد كنيستين متجاورتين لا يفصل بينهما إلا موقف السيارات.

أما نحن فندخل شركة الجسد الواحد بسر أو أسرار الانضمام إلى جسد الرب الكنيسة: المعمودية — الميرون — الإفخارستيا. ولذلك، فإن الوجود المسيحي حسب السر ليس وجودًا بيولوجيًّا أو اجتماعيًّا، بل هو الوجود الكنسي الخاص بأولاد الله الذي ولدوا منه وينالون الغذاء السمائي في "خبز الله النازل من فوق الواهب الحياة للعالم" (يو ٦: ٣٢ – ٤٠). هذا هو الواقع الحقيقي الذي جاء به تجسد ابن الله، ومن خلال الوسيط

الواحد، تحقق لنا:

١- ثباتًا أبديًّا في الآب، ليس كفكرة في عقولنا، بل لأننا فيه "نوجد ونحيا ونتحرك" (أع ١٧: ٢٨). والوجود في المسيح (فيلبي ٣: ٩)، هو غاية الحياة الجديدة التي لا تنظر إلى الماضي كله مهما كان إلا على أنه "زبالة" (فيلبي ٣: ٧).

٢- الوحدة في الرب يسوع الدائم الأبدي كرأسٍ للجسد، وهي وحدة لا تخضع لأي تغيير مهما كان في الإنسانية، فهذه هي حقيقة النعمة، أنها اتحاد كياني تم في الرب ويُنقَل إلينا في السرائر. أما في العلاقة الفكرية، فقد تحولت إلى نشاط عقلاني وقدرات فهم واستيعاب، وتلك ليست إلا البداية لأن ما يحدث فينا ليس منا نحن.

الصراعات اللفظية بالكلمات أو حتى بالنصوص المقدسة

١- التعليم الكتابي له حيز واحد، وهو شهادة الأسفار، ولكن النصوص المقدسة ليست مصدراً للتعليم. هذا تزويرٌ طوَّح بحركة الإصلاح في صراعات كلامية يؤيدها هذا وذاك بنصوص من الأسفار.

٢- التعليم مبني أولاً على الاستعلان في يسوع المسيح والذي تشهد له الأسفار. هو علاقة شركة لها شهادة مؤسَّسة على تعليم الرب نفسه، ولذلك ترى أن الجدل المسيحي الذي دار منذ تأسيس الكنيسة كان صراعًا حول معاني نصوص من العهدين، وحسم الصراع ليس برد كتابي كما يتوهم البعض، بل برد معاني الكلمات إلى العلاقة الجديدة.

كانت عبارة "بداءة خليقة الله" (رو ٣: ١٤) في الأريوسية وعند شهود يهوه تعني أول مَن خلقه الله، ولكن في الاستعلان في يسوع، الخليقة الجديدة وليست القديمة هي التي لها بداية في المسيح، باعتباره آدم الأخير (٢كور ٥: ١٧ — ١كور ١٥: ٤٧).

العودة إلى الليتورجيا وحدها تزويرٌ آخر

عندما برز دور صلوات الكنيسة في الشهادة للتعليم، دارت عجلة التزوير لتقول عندنا الليتورجية ولا نريد الآباء. وهو خداعٌ لا يجوز إلا على السُّذج والجهلاء.

١- لا يمكن قطع جزء كبير من تاريخ وشهادة الآباء للتعليم من الحياة الكنسية؛ لأن هذا يفصل الكنيسة عن تاريخها ويحولها إلى جماعة بلا تاريخ معاش. لقد عاش الآباء الحياة المسيحية الأرثوذكسية في البرية وفي الكنائس في مصر، ودوَّنوا شهادات تؤكد صحة التعليم بالاختبار، وعلى سبيل المثال: من حياة الأنبا أنطونيوس الكبير عرفنا قوة رشم علامة الصليب وخداع الشياطين وضعفهم أيضًا. ومن الرد على الأريوسيين عرفنا أن الإيمان لا يُؤسَّس على سطر أو فقرات نُزِعَت من السرد العام، بل تعلَّمنا من الرسولي كيف نكتشف "مجال الأسفار"، لا تزوير الأريوسيين.

٢- حسنٌ جدًا أن نعود إلى الصلوات، وهي ضرورة لا يمكن التخلي عنها، ولكن ما أكثر العبارات اللاهوتية التي دُوِّنت في صلوات الليتورجية وليس لها شرحٌ في الصلوات إلا ما دُوِّن عند الآباء، مثل كلمة "المساوي للآب أو الواحد مع الآب في الجوهر".

٣- عندما نشر العالم الكبير القمص عبد المسيح المسعودي، الخولاجي المقدس ووضع حاشيةً لكل صلاة احتوت على شواهد من الأسفار، قدَّم بذلك خدمةً جديرةً بالاحترام والتقدير، ولكن ما معنى عبارة "صِغر القلب"، أو "صِغر النفس" التي نسمعها في صلاة التحليل؟ هو فقدان محبتنا لله وفقدان رؤية محبة الله لنا وسيادة الخوف والجبن على تصرفاتنا بما فيه الخوف من الشياطين، وهو ما ندرسه في الكتابات النسكية، لا في الكتاب المقدس.

٤- الليتورجيا هي قلب الكنيسة النابض بحياةٍ مستيكية سرائرية، وسندها وأساسها ليس في الصلوات وحدها، بل العقيدة، وعلى سبيل المثال في القداس: "الجليس

الشـــريك مع الآب"، هل تكفي هذه الكلمات وحدها، أم أن العودة إلى الآباء لفهم عمل الوسيط الواحد ربنا يسوع "الذي يصلي معنا" (حسب عب ٢: ١٢)، وأن هذه الوساطة هي التي تجعل خادم الأسرار هو الرب يسوع والروح القدس؟

حذف شركتنا في المسيح

ظهر هذا الحذف باسم البدلية العقابية، وذلك بمناسبة تقديم إجابة لسؤال لم يسأله أحد، بل تطوع الأنبا شنودة بالسؤال والإجابة، وهو كيف تم فداء البشر؟ (راجع ص ٤٩ وما بعدها من كتاب بدع حديثة). وجاءت الإجابة بعيدة تماما عن أي تعليم أرثوذكسي معروف، فقد أنكرت الإجابة الصلب والدفن والقيامة مع المسيح وفي المسيح في المعمودية (رو ٨: ١ – ٨)، وهي أطول فقرة عن المعمودية في العهد الجديد كله. وتحوَّل الصلب إلى إرضاء الآب. إن الرأي الشخصي هو اجتهادٌ لصاحبه، ولكن الطامة الكبرى أن يُفرض هذا الرأي الخاص والشخصي على أنه تعليم عقيدي والويل لمن يعارضه[1].

كيف تم حذف شركتنا في المسيح؟

التعليم بأن المسيح مات وحده، جزءٌ من حقيقة كبرى أراد لها الأنبا شنودة أن يكون هو كل الحقيقة، لأن مصدر هذه الفكرة هو دفع ثمن خطايا البشر. ولكن انفصال المسيح عنا ظاهرٌ بكل جلاء. فلا يكفي أن تقول إن الشمس أشرقت أمس، المهم هو هل هي مازالت تشرق اليوم؟ الجزء لا يمكن أن يكون الكل، هذه مقولة إقليدس مؤسس علم الهندسة. ولكن الجزء صار الكل ومن يتصدى لهذا التزوير يكون مخالفًا لتعليم

(١) ولست أدري لماذا اعترض الأنبا شنودة على عمل الإسكيم الجلدي وحذف من صلوات رسامة الأسقف الفقرات الخاصة بذلك، ووضع بدلا منها "قسم الولاء" للبطريرك، وهو قسم غير معروف في طقس الرسامة. قرار منفرد من قداسته مثل كل محاولات شرح العقيدة في كتاب "بدع حديثة".

الكنيسة، فقد تم اختزال الكنيسة في شخصٍ واحد هو الأنبا شنودة الثالث.

لم يظهر عندنا من أنكر صليب المسيح إلا من ارتد عن المسيحية. ولكن في عصر قداسته يكتب: "امح الذنب بالتعليم"، وكأن كل مَن كان له تواصل مع الآباء ومع الليتورجية بالذات قد ارتكب ذنبًا يستوجب المحو، وكل ذنبه أنه عاد إلى الليتورجية والآباء ورفض ذلك الخلط الغريب بين الأرثوذكسية والمذهب الإنجيلي المصري، والأخوة "البلاميس"، فالأسرار غائبة منذ القرن السادس عشر، وما كتبه لوثر بالذات أنكرته حركة التجديد الإنجيلي ابتداءً من القرن الثامن عشر، وعندما لم يعد التجسد والصلب والقيامة وخدمة الروح القدس هم ينبوع السرائر، وتحول الرب يسوع من خادم وواهب كل الأسرار إلى شخص تاريخي أغلق عليه التعليم المزوَّر كل علاقة شركة. كيف؟

انتهى دور المصلوب بالموت على الصليب، ولذلك كانت عظات عيد القيامة هشةً لا دسم فيها، وكان الحديث عن "السيد المسيح"، وليس الرب يسوع بمثابة إرضاء لـ "شركاء الوطن".

هذه كلها تشكل معًا صورةً واحدة. ما تم يوم الجمعة العظيمة لا مكان له في الواقع إلا في عقولنا وذاكرتنا. تأمل جرن المعمودية يوصف بأنه "الأردن"، بينما النهر كان ولا يزال في المملكة الأردنية. ولكن ما حدث في الأردن امتد لنا نحن في السر العظيم، سر الانضمام إلى جسد المسيح الكنيسة.

هذه الصورة المزيفة يُضاف إليها ما يزيدها تزييفًا، وهو السخرية، كما حدث بالنسبة لعبارة "الإنسانية المفتداة ولدت في بيت لحم"، أو "بيت لحم هي مسقط رأس البشرية المفتداة". فلا مكان لحضورنا في المسيح إلا في العقل والذاكرة، أما أن يكون الرب يسوع هو آدم الثاني الذي فيه تولد وتتكون الكنيسة، فهذا مرفوض لمجرد أن صاحب العبارة هو الأب متى المسكين.

أين مكان جسد المسيح في الأجساد الثلاثة حسب الأنبا شنودة؟

إذا لم تكن الكنيسة فعلاً هي جسد المسيح، فماذا تكون؟ لو اعترف أحدٌ بأن الكنيسة هي جسد المسيح لأصبح قطعُ أي عضوٍ فيها خطيةً وذنبًا يقع على جسد المسيح، أي على المسيح نفسه. لا شك أن هذا يكلفنا الكثير، ولكن إذا فُصِل الرب عن جسده، صارت الكنيسةُ مؤسسةٌ تُستباح فيها حتى الأعراض! ولا تزال حملات التشهير الميكروفونية تسمعها من آن لآخر ضد أشخاص يُتهمون في أقدس أعراضهم، وهو "الإيمان"؛ لأن الإيمان هو شرف هؤلاء الأبرياء وعرضهم.

شرفنا الحقيقي هو الإيمان الأرثوذكسي، ونحن لا ننتمي فقط إلى أم الشهداء، بل نحن أعضاء في جسدها الحي الذي حفظه الرب يسوع نفسه لكي يشهد له من أجل مجده لا لكي نرضي الناس "فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح" (غلا ١: ١٠).

هكذا تسقط عضوية هؤلاء في جسد الرب لأنهم يفتخرون بالتهجم ونشر الأكاذيب عن أبرياء واتهامهم في أشرف ما لديهم وهو الإيمان الذي عاشوا ولازالوا يعيشون فيه ولأجله. وبكل فُجِر وشماتة يقولون عني إنني أتنقل بين الطوائف. وعندما اتفق الأنبا شنودة مع الأستاذ جابي حبيب على إنهاء عقدي مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، وكان المصدر المالي الوحيد لي، وسافرت إلى انجلترا، أرسل الأنبا شنودة إلى نائبه في لندن القمص أنطونيوس ثابت لكي يكتب إلى جامعة برمنجهام لمنعي من التدريس. لم أكن وحدي، بل شاركني محنتي زوجتي وثلاثة أولاد. كان المطلوب أن أجوع حتى في الغربة. يا لعظم كراهية هؤلاء وهم مثل الأنبا موسى الذي يقول إنني صديقه، ولكن عندما كان في انجلترا لم يحاول أن يتصل بي تليفونياً حتى. وقُطِع د. هاني مينا من شركة الكنيسة بقرار من الأنبا شنودة لأنه صديقي الحميم" على حد قوله.

هذه كلها مظاهر سلوك لقوم تركوا الرب يسوع وآمنوا بأنه صُلب ومات تحت

غضب الآب واحترق في نار العدل الإلهي. وبكل جسارة يقول الأنبا بيشوي إن الصليب الذي صُلب عليه الرب هو خشب المحرقة وصعدت رائحة الشواء ... وصار الرب رماداً أنهى تجسده وقيامته، لأن الرب قام ولم يقم من رماد.

+ + +